

# اللغة العربية

## على المحلح

الأستاذ خليل العنداوي

حلب (سوريا)

ويبدو أن الغزو نفسه يمهّد لانتشار لغة الغازي،  
أما تقريبا من الغازي ، وأما طلبا لاتمام النقص الذي  
تشعر به ، والأفان هناك لغات أخرى واسعة ، لا  
تقل طواعية ومرونة وغنى عن اللغة الانجليزية ، ولكن  
لم يرافقتها غزو واسع ، يمكن لها ما مكنه الفزرو  
لغة الانجليزية .

ولذلك تحيا اللغة العربية الآن في حيز ضيق، هو  
رقعة العالم العربي ، وهذه الحياة نفسها غير موحدة  
باصطلاحاتها ، ولا مستقرة في اشتقاقاتها ، لاختلاف  
هذا العالم في وجهات ثقافته .

ولعل من العوامل البارزة في استقرار اللغات  
الاجنبية أنها تصدر في اشتقاقها من منبع واحد ، هو  
اللغة اللاتينية ، واليونانية القديمة ، وهذا المنبع  
وحد مصطلحاتها العلمية والفلسفية ، بينما اللغة  
العربية قل اتصالها بهذا المنبع ، فلذلك جسامت  
المشكلة وتعمدت من نتيجة هذا الانتطاع .

\* \* \*

والذي يتأمل تطور اللغة العربية يجد أنه  
تطور لا يتخطى الشكلية ، والدوران على النفس ،  
فأما البناء فهو باق لا يتبدل ، وما اشبهه ببناء عتيق ،  
قد تأكلت حجارته ، شأن آثارنا القديمة الشاخصة ،  
وغطاها طحلب التقدم . فالقواعد لا تزال واحدة ، لم  
يجرؤ احد أن يخفف ، أو يبسر من قيودها ، أو يقلل من  
شواذها المتقلبة . ولم يبق منها الا عملية الاشتقاق ،  
وهي عملية ناجعة ، لو وجدت من يستغلها ،  
ويفيد منها . ولكن هذه العملية ليست موحدة في  
الانطار ، اذ نرى كل مجمع لغوي يشق وفق هواه  
واجتهاده ، ثم لا يأخذ أحد بهذا الاشتقاق . ولا تنكر  
وزارة من وزارات التعليم والثقافة في تطبيق هذه  
المشتقات ، واذاعتها في الكتب المدرسية التي يأخذ بها  
الطلاب .

ولذلك: اذا اردنا خيرا وحياة لهذه المصطلحات،  
يجب :

حقا لكل لغة مشاكلها ، ومن يطلع على مسيرة  
اللغات في العالم ير أن هناك فئة من اللغات تحيا حياة  
عامة ، مناسبة ، وفئة منها تحيا في حيز ضيق ،  
يتناول اصحاب هذه اللغة ، واهلها .

وهذا ينطبق على اللغة العربية انطباقه على  
بقية اللغات . واللغة العربية اليوم تحيا في هذا  
الجزء الضيق ، واذا ابتعدت قليلا عنه كان انفراجها  
في دائرة الدراسات التاريخية والاجتماعية وتقليل منه  
في الدراسات العلمية ، والمصطلحات التقنية .

وقد مرت اللغة العربية بدور ، كانت فيه لغة  
انسانية ، حين تجاوزت التخوم العربية ، وأصبح  
أدبها والعلم فيها ذائعا في الاقطار التي مسحها  
الفتح العربي أولا ، والدين ثانيا .

والاسلام ، بطبيعته ، مرتبط باللغة العربية ،  
ولا غنى للمسلم منها كان اصله ومنشؤه عن المامه  
باللغة العربية سواء كان قارنا للقرآن في تادية شعائر  
الدين ، أو متفهما لاصوله . وهذه مزية لم تحظ بها  
لغة أخرى في العالم . وكان من وراء ذلك أن عم نفوذ  
اللغة العربية وأسهم في التأليف بها جماعات عربية ،  
وغير عربية .

ولما انحسر النفوذ العربي عن هذه الاقطار  
انحسر نفوذ اللغة فيها ، كوسيلة للتعبير ، والتأليف .  
ولم يبق منها الا رمزها المتصل بالدين .

وقد ينطبق هذا المثل على لغة ، تعد أكثر اللغات  
انتشارا اليوم ، هي اللغة الانجليزية ، فان تغفل  
الاحتلال الانجليزي في الاقطار الدانية والنائية ، مهد  
لهذه اللغة أن تنتشر وتتوسع ، وتقدم اللغة العلمية  
بها على الاقل . وقد ظل تأثير هذه اللغة في الاوساط  
العلمية والدراسية بهذه الاقطار ، قائما ، حتى بعد  
انحصار الاحتلال ، لان هذه الاقطار المتخلفة وجدت  
فراغا كبيرا ، وجديا في لغتها القومية وثقافتها ،  
فظلت مثابرة على تبني اللغة الانجليزية في مدارسها  
العالية ، وجامعاتها . ولا ندري : الى متى تدوم هذه  
التبعية ؟

أولا : العمل على تهذيب القواعد وتخفيف أعبائها .

ثانيا : توحيد جهات الاشتقاق بما يجري مع انطبع والعصر والحاجة .

ثالثا : إذاعة هذه المصطلحات المشتقة ، بكل وسيلة فعالة ، في أبناء الجيل الآتي ،

\* \* \*

وأما الذين يزعمون أن اللغة العربية عقيمة ، لا تستجيب إلى الحياة الحديثة ، تعصبا أو لهوى خبيث فيهم ، فقد فاتهم أن اللغة العربية ، بطبيعتها ، لغة مرنة ، غنية ، يدل على ذلك مفرداتها الدقيقة ، وقد امتحنت - أيام النهضة العلمية في العصور العباسية - وثبتت لهذا الامتحان ، وعيرت أحسن تعبير عن كل خاطرة ، وتجربة ، ومعنى هذا أنها صالحة للتدريس الجامعي بأوسع ما يريد منها هذا التدريس ، ومستعدة للوفاء بالتزامات التعبير عن كل شيء .

وقد اراد الشاعر - حافظ إبراهيم - مرة أن ينبري لهذه المشكلة ، ويمالجها بروح شعرية ، فوضع تصديده المشهورة ، عن لسان اللغة العربية ، في الشكوى من إهمال أبنائها ، وما قاله :

أيطربكم من جانب الغرب ناعب

ينادي بوادي في ربيع حياتي ؟  
وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن أي بها ، وعظمت  
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ؟

وتسجيل أسماء لمخترعات  
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا

فيا ليتكم تأتون بالكلمات  
فالمشكلة التي عاناها الشاعر منذ خمسين سنة ،

لا تزال هي مشكلتنا اليوم ، بل ربما زادت عليها صعوبة وتعقدا ، لأنها ليست بمشكلة العجبة التي امتدت زمننا إلى لغة المخاطبة ، بتأثير العوامل الغربية الزائفة التي ضعفت ، وكادت تضحل ، وإنما هي ، في الدرجة الأولى ، مشكلة استحداث اللغة العلمية التي تجاري النهضة العلمية الوثابة .

ومن هذه المشكلة مسألة إيجاد المفردات العلمية الدقيقة للمنجزات والمخترعات المستحدثة وبخاصة في علوم الطب والصيدلة والفيزياء والكيمياء والاجتماع.

واللغة العربية وقفت موقفا طبيعيا من هذه المستحدثات ، فقد رأيناها تعرب بعضها ، فتنجح في البعض ، وتخفق في البعض . فمثلا ، كلمة السيارة والظيارة والبناتف والمذياع كلمات موفقة سائرة ، وهناك كلمات أخرى كتبت ، ولم ينطق بها لعصرها ويعدها عن المرونة اللفظية ، والروح العلمية .

وان من الواجب على ذوي الاختصاص من علماء وفقهاء لغويين أن يتأملوا في جيراننا ، ممن حانهم كحالنا ، ومشكلتهم كمشكلتنا ، ولقمتهم عزيزة عليهم كما لقمتنا عزيزة علينا ، كيف قابلوا هذه المشكلة ، وحلوها .

ولكن جل ما في الأمر أن نقابل المشكلة بتجرد ، بدون تحيز ولا تعصب !

وفي الحق أن لكل لغة وجهين : وجهها الأدبي الخاص الذي لا تنفصل عنه ، وهذا له ميزاته الشخصية في التعبير والجاز والتشبيه ، ووجهها العلمي الذي أصبح ، بفضل اتصال أجزاء العالم ، بعضها ببعض وجهها عاما متحدا ، ونحن ، فيما نشق في هذا المجال نتكلف ما لا يستطاع ، لأنه تسمية لأشياء لم نخلقتها . ولذلك ، كحل صحيح للمشكلة ، يجدر بنا أن نقتي على المصطلحات العلمية ، كما وردت بلغتها الأصلية . وهي - غالبا - مصطلحات تستخدمها كل لغة في العالم ، دون أن تجد في ذلك غضاظة على لغتها . واللغة العربية ذاتها فتحت صدرها أكثر من مرة ، لأمثال هذه المصطلحات ، وللألفاظ الغربية عنها ، في عصور نهضتها ، واحتضنتها وعربتتها .

وان في القرآن الكريم الذي انزل عربيا ، الكثير من هذه المفردات التي انتقلت إلى العربية من اللغات السريانية المجاورة لها .

هذا ويوفر علينا الزمن ، ويجنبنا الفوضى في التعبير ، ويجعلنا ذلك أقرب إلى التيار العلمي العالمي ، كما يجعل المختص منا أقرب إلى روح هذه الأشياء ، وأيسر اتصالا بمراجعها الغربية التي غدت جزءا لا يتجزأ من دراساتها العلمية .